لم اشرك بربي احدا ٥ كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل
شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة
من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقراء حمزة والكسائي
بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك
او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا ٥
وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه هنالك في ذلك المقام
وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده ولا يقدر عليها غيره
لقوله تعالى ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا
وخير عقبا ٥ اى النصرة خير ثوابا ومآلا للمؤمنين المتقين وقراء حمزة
والكسائي الولاية بكسر الواو ومعناها السلطان والملك اى هنالك
السلطنة لله تعالى لا يغلب ولا يمنع منه ولا يعبد غيره كقوله تعالى واذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان
قوله تعالى يا ليتني لم اشرك كان على اضطرار وجزع مما دهاه
وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقراء حمزة والكسائي الحق بالرفع
صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقراء عاصم وحمزة
عقبا بالسكون وقرئ عقبى بغير تنوين وكلها بمعنى العاقبة

بسكون القاف

الثاني

الثاني والعشرون

ايضا قوله تعالى في سورة الكهف
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا واذكر يا محمد لاهل مكة ما تشبهه
حيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو
كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسبب ذلك الماء نبات
الارض وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ونجع في النبات
حتى روى ورق وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما
كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته
فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه
من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة
وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما فتطيره الرياح
فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا ٥
قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا التي يتزين بها الانسان في دنياه
وتفنى عنه عن قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى
له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال
الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا ٥

لان صاحبها ينال به فى الآخرة ما كان يامل بها فى الدنيا ٥

الثالث والعشرون ايضا فى سورة الكهف قوله تعالى ولقد صرّفنا مثلنا فى هذا القرآن للناس عامّا وخاصّا من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شىء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز ٥ وقال ابن عطية رحمه الله ولقد صرّفنا اى خوّفنا ورجّينا وبالغنا فى البيان وهذا كله تمثيل وتعزير لاهل الاذهان وصاحب الفهم والاذعان من كل مثل له نفع فى الغرض المقصود بهم وهو الهداية وكان الانسان اكثر شىء جدلا لن ينفع فيهم تصريف الامثال بل هم منحرفون يجادلون بالباطل والانسان اسم جنس وسببها النضر وقيل ابن الزبعرى . وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على على ابن ابى طالب رض وقد نام عن صلوة الليل فايقظه وعاتبه فقال له على رض انما نفسى بيد الله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضرب فخذه بيده وتلا هذه الآية ٥ وقال بعض المشايخ من ارباب الاشارة فى تاويل هذه الآية ولقد صرّفنا اى بيّنا فى هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه السايرون الى الله الصادقون فى محبة الله المخلصون فى طلب الله المشتاقون الى جمال الله ويستدل به الموحدون فى

وحدانية

وحدانية الله ويستمسك الواصلون الى الله فى بذل الوجود والفناء فى الله ليبقوا بالبقاء بالله ولكن من طبيعة الانسان المجادلة والمخاصمة والخذلان وبها يقطعون الطريق على انفسهم فتارة مع الانبياء يجادلون ولا يقبلونهم بالنبوة والرسالة حتى يقاتلونهم وتارة يجادلون فى تشابهات القرآن وتارة يجادلون فى ناسخها ومنسوخها وتارة فى قدمها وحدوثها وعلى هذا اصرّوا واستكبروا حتى لم يرجعوا من المجادلة الى المجاهدة ومن المخاصمة الى المعاملة ومن المنازعة الى المطاوعة ومن المناظرة الى المواصلة ومن المخالفة الى الموافقة وقد قيل مثل الخلاف كمثل شجرة الخلاف خضرة فى العين ولا ثمرة فى البين ولهذا قال تعالى وكان الانسان اكثر شىء جدلا ومن هنا عالجهم بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ٥ **الرابع والعشرون** قوله تعالى فى سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل بيّن لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل فى استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعنى يعبدون الاصنام من دون الله وقرا يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره

لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه

والذباب من الذب لانه يذب والذباب واحد وجمع القليل

اذبة والكثير ذبان مثل غراب واغربة وغربان **ولو**

اجتمعوا له هو مع جواب المقدر في موضع حال جئ بها للمبالغة

اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا

كانوا منفردين **وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه**

قال ابن عباس رضي الله عنه كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف

جاء الذباب فاستلب منه وعن السدي كانوا يضعون الطعام

بين يدي الاصنام فتقع الذباب عليه فيأكل منه وقال ابن زيد

كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللآلي وانواع الجواهر ويطيبونها

بالوان الطيب فربما يسقط واحد منها فيأخذها طائر او ذباب

فلا يقدر الآلهة على استردادها فذلك قوله تع وان يسلبهم الذباب

شيئا اى وان يسلب الذباب الاصنام مما عليها لا يقدرون ان

يستنقذوه منه ويستخلصوه عنه قال القاضي البيضاوي رح جهّلهم

الله الجليل غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات

كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء

وبيّن ذلك بانها لا يقدر على خلق اقل الاشياء واذلها ولو اجتمعوا له

بل

بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الارذل ويعجز عن ذبه عن نفسها

واستنقاذ ما يختطفه من عندها **ضعف الطالب والمطلوب**

قال ابن عباس رضي الله عنه الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب

عن الصنم والمطلوب الصنم يطلب منه الذباب السلب وقيل على

العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب وقال الضحاك الطالب

العابد والمطلوب المعبود **ما قدروا الله حق قدره** ما عرفوه حق

معرفته وما عظموه حق عظمته وما وصفوه حق صفته حيث اشركوا

به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة **ان الله لقوي**

على خلق الممكنات باسرها **عزيز** لا يغلبه شئ والهتهم التي يدعونها

عجزة عن اقلها متهورة من اذاها

وقال بعض المشايخ

يا ايها الناس ضرب مثل يشير الى ان اهل النسيان عن حقيقة الامر

بالعيان فلا بد من ضرب مثل لهم لعلهم ينتبهون عن نومة الغفلة والعصيان

فالخطاب لناسي عهد الميثاق عام وللمستعدين لادراك فهم الخطاب

بقوله فاستمعوا له خاص وهذا الامر امر التكوين بان يسمعهم الخطاب

ويتعظوا به من بين المعنى فقال ان الذين يدعون من دون الله الهة

ويعبدونه من انواع الاصنام الظاهرة والباطنة لن يخلقوا ذبابا

بل لا يطلعوا على كيفية خلقة الذباب ولو اجتمعوا له كذلك وان

يسلبهم الذباب من الخواطر النفسانية والشيطانية شيئا من صفا
الوقت وجمعية القلب لا يستنقذون منه ليس في وسعهم استنقاذه
واستخلاصه من ذباب هواجس النفس ووساوس الشيطان ضعف
الطالب وهو القلب اذ لم يكن مؤيدا بنور الايمان والمطلوب
وهو النفس والشيطان ومن كان بهذه الصفة فساء المثل مثلهم
فانهم ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته اذ عبدوا غيره
ولم يتخلقوا باخلاقه اذ هم مستعدين لذلك مختصون بهذه الكرامة
لو رجعوا الى الله وتركوا غيره وما سواه ان الله لقوي عزيز

الخامس والعشرون

قوله تعالى في سورة
النور ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات التي بينت
في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة
والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام
والحدود ومثلا من خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم او وقصة
عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم
وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص
المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن

من الذين

والصفات

والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل
كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية
الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا
شمس وقمر
المعنى لا يصح اطلاقها على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم
اي ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به
فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء
او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في تدبير القوم نور القوم لانهم
يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره
واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفا هو العدم والله سبحانه
موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به يدرك او يدرك اهلها من
حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك
عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها
من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها
وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست
لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى
ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب
منه قول ابن عباس رضي الله عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون

فاضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية
والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما او على المتعلق بهما والمدلول
عليهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره تعالى
دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهي
الكوة الغير النافذة وقرأ الكسائي برواية الدوري بالامالة فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح
الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة
كانها كوكب دري مضيء متلالاء كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب
الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوءه او بعض
ضوءه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قرآءة حمزة وابي بكر
على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا
يوقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون
المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة
ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص
بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك
على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد
بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية

[illegible]

تقع عليها الشمس حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي
تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى
او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه
اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة
تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا
في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلالؤه وفرط وبيصه نور على نور
نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة
القنديل وضبط المشكوة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه
الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث
انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف
المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل
لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبث فيها
من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح
الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش
والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس

والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية
متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي
التي تؤلف المعقولات ليستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية
التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء
والأولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من
نشاء من عبادنا بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة
والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة
لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضافتها
بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات
من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما يشتمل عليها من
المعقولات وللعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف
الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات لا نهاية لها
والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا يكون
بشرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين
الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة
القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف
من غير تفكر ولا تعلم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك

فانها

فانها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم
تنتقش بالعلوم الضرورية فتراها بتوسط احساس الجزئيات بحيث
تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها
قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة
وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد
زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام
الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصل
لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح
فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء فان
الاسباب دون مشيته تعالى لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال
للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم
معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد
لمن يدبرها ولمن لم يكترث بها كذا قال القاضي البيضاوي رحمه الله
وقال الشيخ نجم الدين الكبرى في تفسيره عين الحيوة اخبر سبحانه
وتعالى عن نور الانوار وسر الاسرار بقوله تعالى الله نور السموات والارض
اي مظهرهما من العدم الى الوجود فان معنى النور في اللغة الضياء
وهو الذي يبين الاشياء ويظهرها للابصار واعلم ان النور